حول الموضوع القديم لترك المدينة

أنيبال نونيث

بيت
بجانب شجرة تفاح
أو شجرة زيتون

هيلدي دومين

قل لي إذا كان حقيقة
أنك لا تزال تحيا في تلك المدينة

أدريان ريتش

بقدر ما تتجدد الشوارع
وتنتهي صلاحية عاداتها،
فإن الأشباح هي ما تتبقى فقط في المدينة.
غير مستقرة على النواصي،
كشيفرة من العلامات لا تنعكس في الأعين،
أحاسيس في المعدة،
غير شفافة في الجبهة الداخلية.
البعض الذي يرغب في أن يعرف،
لا يسأل عن طفولة الآباء.
شحاذ بلحية بيضاء يقلب في صندوق القمامة
ثم يبتعد دون أن يسألنا شيئا.

فوق التلال أعمدة من الدخان
تلطخ منحنى الأفق.
ما تبقى ليس بقايا ذلك
الذي كان ينمو،
بل ألوان دون رابط:
المسطحات الشاسعة السوداء،
أصداعها الواضحة وغير المعتادة.
الأرض التي تضطرم ببطء.

شبكات التهوية في الشارع
تجعل من رائحة العفن
رائحة طعام. بخار فاتر
يبدو ملتصقا بالوجه للحظة.
عندما قالوا له أن يرتجل دورا لمجنون،
اكتشف في نفسه المجنون الذي كانه:
دون أية إيماءة،
وبرأسه هابط إلى الأسفل،
في صمت.

أتمشى معها عبر الزمن:
رغم أنها لا تستشعر شيئا مما أشير إليه
-ألوان، مشاهد، كلب-، تحصي كطقس
الأحداث التي مرت،
البشر الذين يعيشون في الشارع.
تعين كل موضع دون أن تنظر. تندهش
فقط حين أشير لأحد المباني:
"أتتذكرين إنني كنت هناك لمدة عام؟".
تنفي بهزة من رأسها وتقول:
"لا، أنت لا، كان ابني ميجيل
الذي كان مسجونا".
أتركها تواصل، أرى أنها
تتذكر بعض أسماء الزملاء.

الغصن في العين
كما في الشجرة، عار،
تهزهزه الريح.
يرتفع ويهبط مع الريح، يجلد،
بشكل غامض
ينظر إليه من قبو
في أسفل الدرج.

الآن والرأس ممتلئ
بعجينة اسفنجية
ويواصل دون أن يلهمه شيء،
ينظر إلى أصابعه
ويجد الكالو الغريب للكاتب
مفلوقا ومحمرا للحظة
من جراء الضغط بقلم الحبر.
ويقرأ دون أن يفهم الكتابة السوداء،
ذلك الشكل المسطح للرغبة،
مسطح وعقيم.

الصرخة غير المفهومة للعجائز،
رأسها البيضاء تتدلى
أو تتمدد دون اتجاه،
في الكراسي البيضاء المبعثرة عبر الأخضر
كأسراب صغيرة من عصافير الدوري،
زقزقة أو سلم مسنود،
هادئة لا تنذر بشيء،
وجود فقط – يسكن الحديقة.

قلنا له نعم عندما سأل:
أقارب؟ لكن – بالشكل الذي يثير الضحك–
الكلمات تأخذ في عمل فجوات، كما بالأمس،
في محادثة حينما قال الصديق الذي لم يعد يعيش
هنا: ***ضبة***. دورة الكلمات
انتهت منذ أيام يوليو تلك والتي كانت فيها
طرق جبال البرانس السريعة
طويلة ومستقيمة، دون حماية.
عندما هم بذكر اسمي، استعمل أبي
اسم أحد أشقائه
والذي لا يعرف شيئا عنه
منذ ثلاثين عاما.

في الصباحات قليلة الضوء
فإن الغصن، دون تضاد، بقى
كظل هناك بالأسفل،
يجبرك أن ترفع عينيك
وأن تبحث في أحد الجوانب الخرقاء
عن صفاء اللون.

الإحساس بأن غربان الزرع تبتهج كذلك
الآن وقد ارتفع الضباب
بعد أيام كثيرة، أو أن تتسائل
مثل هولدن كولفيلد*،
إذا ما كانت الغربان تطير فوق الضباب، مختبئة،
كما هو واضح ما يحدث مع الذيل الأبيض للطائرة.
أحصي حتى خمس طيات في السماء؛
لو رسمت شكلها لكنت أكذب
-الرؤية والمعرفة والتمثيل.

* هولدن كولفيلد: المراهق بطل رواية "الحارس في حقل الشوفان" لـــ ج. د. سالينجر. م.

يلوح، يتلوى، يفكك الثوب؛
بعد ذلك يهدأ بالتأكيد وينسى؛
أتخيل إنه قريبا سيبدأ من جديد
المشهد الكامل للإيماءات.
فقط أدرك وجهه في عبوره الكامل
من التشنج إلى السكينة،
عندما نتمكن من إفلاته.
بعض الأبيات التي تتحدث
عن السعادة الضرورية،
لكننا لا نود أن نرى
لا من الأمام ولا من الخلف.
وعينا هولدرلين الكبيرتان مفتوحتان:
ليس الذراع بينما أشد الحزام،
الفزع حينما أومأ إليه أن يجلس.

كرسي دوار، يترجم حرفيا عن الفرنسية
ويبدو له اسما جد بعيد عن الأشياء: يتذكر
صورة الكراسي في صفوف: واحد بجانب الآخر
في الأزمنة الميتة، أمام الآخر بينما يجب تحريكها
ككتلة.
كان المساء يهبط في الصالة المدورة
ببرجها فوق النهر،
محمّر الآن ومعكر
هالة جسر فوق مياه عكرة.

مرعى من الفكر،
الفرع؛ ذاكرة، في مرات أخرى فقط
تتعرف على نفسها كشيء في الزجاج.
عيون غصنية، مسكوبة،
قريبا
ستكون في الخارج.

الأم تستعجل الطفلة،
تقول لها إن أخاها، الذي تحمله بين ذراعيها
-أكثر من ثلاثين شهرا وهي تعلق رأسه محنية-،
يزن مثل شخص ميت.
والكلمات تنزلق على الجسد النائم
وتسقط على الأرض بين الاثنتين؛
الطفلة تنظر، محاذرة ألا تطأها.

حملتك هذه المدينة
إلى الضاحية القريبة،
إلى متاهة من الأرصفة والنظرات
حيث لا يقطع غناؤك الفردي.
الآن وحيث علي أن أخترع مشاعرك
يبدو إنني كنت محملا بها.
تجرين قدميك وأقول لك:
تجملي بالصبر، لا يمكننا فعل أي شيء؛
فقط تلك الكلمة، مريضة، تكررينها مرة أخرى.
من شدة صفاء العينين فقد بقيتا مثبتتين،
وأبحث في المرآة كذلك عن إفرازاتهما،
كرة من الجيلاتين الأزرق، النقاط التي
تقطر عبر الشعرات.
أصابعي تلاحق خبطة الماء في حنجرتك،
وتعودين لتسألي في صمت، وترتعشين
في معرفتك غير المفهومة.

منذ سنوات طويلة، ربما ثلاثون،
وأنا بإمكاني أن أروي تلك الحكايات
من عالم آخر:
طرق بين بساتين، تلال بجانب القطار،
أحياء لا تزال ذات تخطيط من العصور الوسطى.
كان عملا دقيقا للهدم، انتهى بالفعل
منذ أعوام طويلة.
أنام الآن بعض أيام الجمع في فندق،
أجلس لآكل على مصاطب الشارع،
حيث يضعون القهوة في طناجر،
بالكاد أعرف بعض شيفرات العادة،
وكل مرة أقل وأتعجب من الأسماء
التي أقرأها في الصحافة.
من الجيد أن نكون بعيدين
نحن من كنا شهودا.

هي كانت تقرأ مركزة قصائد
ذات حدة غريبة،
قالت إنها لم تر السنونوات.
لم يبق مما فكرت به، بينما واحدة تقرأ
والأخريات يطرن
-طبيعة، فن، نشاز وهارمونية-
إلا ارتياب واحد حول التأويل.
كل شيء جليل ومضحك، الطيران
السريع والضيق، الرشيق والشره بين البعوض،
الموسيقى الزاعقة، لا تستطيع أن تحدد
ارتيابا حول نقص النهاية،
وكذلك حول الأمل المستحيل.

لقد استقالت المدينة،
فهي لا تقدم إيقاعات بطيئة
للتنزه ولا صحبة الحكاية،
لا شيء يعمل في تقويم أيامها.
أقيس من زاوية لزاوية
عدد السجائر وفقط
أتوقف عند المخرج،
في محطة الوقود
التي بها بار: هناك، بين الشاحنات،
ثمة طاولة من مرمر.

نبات الخرشوف في فبراير، عصفور داكن،
ينبثق الغصن إلى الأعلى
كإقلاع طائرة؛ يحط هناك،
حثرة في السائل الأرعن للعين.
داكن ورمادي،
خرشوف فبراير والبستان مبتل،
السماد العضوي، ثرثرة،
أشعر بقدمي رخوتين،
مسار التشنج بين الأصابع.
هكذا يبدأ، بقفزة صغيرة ثم على الأرض،
فقط الغصن يغير موضعه، في الداخل
ثم يعود.

إنها ليلة ممطرة،
تشكل المياه موجات
عند تدحرجها للأسفل
وتنقر على المظلة.
البرد في الظهر يشكل موجات،
المشهد العميق للظلال الكثيفة تقريبا؛
ما يعيشه
يقبع داخل العين.
الغصن وطيرانه المقيد.
الشك فيما إذا كان سيأتي مارس، النادل
خامل في المحل الفارغ، الراهبات
ما زلن يحبكن قطعة قماش أخرى بيضاء
على القبعة والثوب الأبيض،
وتلتفت واحدة مخبأة وجهها، تحدثنا
كما لو كانت لا تفعل. غصن مارس،
شعيرة افتراضية للطيران.

ولا يستطيع أن يرفع بصره
عن ستارة الطمي السائل
التي تطلقها الشاحنات،
جد شبيهة بالعمى،
ولا تدرجات الأخضر الجديد
في فراغات الشمس،
كما لو كانت يده
تصقل اللون وتتركه نظيفا
من أجل عام آخر.
لم يستطع أن يرفع بصره
عن إما ولا عن أو، رغم
مجموع الأيام والرحلات المتماثلة،
والسرعة القصوى والفراغ الآلي
الذي يأبى إلا أن يصبح فكرا.
الليل والمساء، ونهاية الصباح،
ريح ثلجية، دفقة من الموسيقى في الرأس
والتي تعنى دون تحذير،
سيأتي يوم
عندما نرفع فيه جميعا نظرتنا
دون أن تكون سلسلة الفشل والتعلم،

و سلسلة الجوقات المظلمة،
ستكون فيه أكثر من مجرد الزمن الذي تتعاقب فيه
وأوجد، ستكون أكثر من صحبة من أجل تلك الكيلومترات
التي تتناقص سريعا
حتى حزام الضباب.

في البيت الجديد،
عندما نشرع النافذة للضوء،
كل يوم في الساعة نفسها
تدخل عائلة من النحل؛
ربما – قلت– في زمن آخر
كانت تعرف المكان،
كان افرادها معتادين عليه.

أولا، نجمة الصباح
على المنحنى، العمق الرمادي للجبل.
ثانيا، الشمس المدورة والحمراء
في فراغ الشارع المائل.
ثالثا، قطع الضباب الصغيرة
الملتصقة بسطح النهر.
رابعا، عندما يعاود الشروق
الظهور في نهاية الطريق.

الآن الأزرق الحاد للشتاء،
صور الأشجار مطبوعة على الطوب،
استراحة الزيزفونات. لكن دائما
يلتقي البعد والقرب، جبل خارجي
وساحة شديدة الصغر. سماوات
الصمت. صاحب الصباح الباكر
الذي لا يزال يندهش في كل مرة
تجد فيها الشارع، صاحب المعطف الوحيد
للمساء الذي يخلي ويلصق حراشف
في الجلد الداخلي لقدميه.
الشعور بالتباس الأحجار. أو حين يشارك المشي
عبر متون الزوايا عاطفة النظر.
ما يوجد وليس بكذبة.